الاتساق النحوي في روايات كتاب التوحيد للشيخ الصدوق(ت٣٨١ه)

اتساق الحذف أنموذجًا

زينب حمدي محمد الجزائري

أ. د ليث قابل الوائلي

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

المُلخص

الحذف ظاهرة لغوية عامة وبابٌ مشترك بين النحو والبلاغة، ثم عُدَّ رابطًا نصيًا من وسائل الاتساق النحوي في الدراسات النصية الحديثة، فيخرج بذلك عن إطار الجملة الواحدة إلى إطار النصية. ويكمن دور الحذف كأداة اتساق نصية في العلاقة بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور(الدليل) عبر عنصرين هما: المرجعية، والتكرار. فهو يعتمد على ما تقدم اعتمادًا خالصًا. وقد تناول البحث مفهوم الحذف، وعلاقته بالاتساق والدور الذي يؤديه لتحقيق ذلك ثم التطبيق بالمنهج التحليلي على بعض روايات أئمة أهل البيت -عليهم السلام- في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق - رحمه الله –

الكلمات المفتاحية: الحذف، الاتساق النحوي، علم النص، اللسانيات النصية، الروابط النصية، الانسجام.

Abstract

Ellipsis is a general linguistic phenomenon and a common door between grammar and rhetoric, and has been considered a means of grammatical cohesion in modern textual studies, moving from a single sentence to a text. The role of ellipsis as a text cohesion tool lies in the relationship between the ellipted element and the said element across two elements: reference and repetition. The paper dealt with the concept of ellipsis, its relationship to cohesion and the role it plays in achieving this, and then applied the analytical method to some of the narrations of the Imams of the House (peace be upon them) in the monotheistic book of Shaykh al-Sadok (may God have mercy on him).

مدخل

يُعد الاتساق النحوي إحدى الوسائل اللغوية التي تتحقق بها النصية، عبر التشكيل النحوي الدلالي بأدوات ربط صريحة وواضحة بشكل خطي على سطح النص، للحفاظ على تماسك النص واستقراره، بالإضافة إلى كونه يحقق استمرارية الوقائع مما يساعد متلقي النص على معرفة المعلومات المفقودة وملء الفجوات من خلال شبكة الترابط الممتدة عبر النص، لبنائه وتنظيم بنية معلوماته، وبذلك تلعب أدوات الربط دورًا هامًا ليس باعتبارها وحدات نحوية تعمل على ترابط الجمل، بل باعتبارها وحدات وظيفية تعمل على تكوين النص كوحدة دلالية[1]. وللاتساق النحوي وسائل تتمثل في الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، وسيتناول البحث (اتساق الحذف أنموذجًا).

والحذف ظاهرة جوهرية موجودة في اللغة العادية والعلمية، وهي ظاهرة تشترك فيها اللغات الإنسانية كافة، وتكون في بعض اللغات أكثر وضوحًا كما في اللغة العربية، لميلها إلى الإيجاز والاختصار[٢]. وليس الحذف من المفاهيم الغائبة في العربية ولا من المذكورة عرضًا فقد شغل الباحثين قديمًا وحديثًا نحويين[٣]. وبلاغيين[٤]. ووصفوه بالدقة واللطافة والسحر، وجعلوه أفصح من الذكر وأتم وأبين وخصصوا له بابًا واسعًا، إلا انه مع سعت البحث فيه يختلف لديهم عن منظور اللسانيات النصية التي تنظر إلى الحذف كأداة لتحقيق الاتساق النصي كما سنرى.

أولًا: المفهوم

لغة: من المعاني اللغوية للحذف: القطف، والقطع والطرح.[٥]

واصطلاحًا: يعرفه علي أبو المكارم بأنه: ((إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية ، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويا ؛ لسلامة التركيب وتطبيقا للقواعد))[٦]. أما دي بوجراند فعرفه بقوله: هو ((استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة))[٧] فالحذف ليس معناه عنصرًا كان موجودًا في الكلام ثم حُذف بل هو عدول عن ذكر العناصر التي يمكن فهمها من السياق، أي عن مقررات النظام اللغوي إلى السياق الكلامي[٨].

والحذف يقوم على شرطٍ مهم هو الدليل أو القرينة وإلا كان لغوا من الحديث وهذا ما اجتمع على اشتراطه علماء التراث والعلماء النصيين فذكر ابن جني (ت٣٩٢هـ) : ((...وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))[٩]. وكذلك ذهب العلماء النصيين إلى ((ضرورة وجود دليل على المحذوف يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية))[١٠]

ثانيًا: علاقة الحذف بالاتساق

ما يهمنا في هذا الموضوع كيف يسهم الحذف في اتساق النص وما هو الدور الذي يؤديه لتحقيق ذلك؟ يكمن ذلك في العلاقة بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور، وهو عادة علاقة قبلية، فتتحقق المرجعية بين عنصر سابق مذكور (الدليل) ولاحق محذوف مما يؤدي إلى استمرارية النص مع أن علاقة الحذف لا تترك أثرًا عن المحذوف فيما يلحق بالنص وهي بذلك تختلف عن الاستبدال بكونها (استبدالا بالصفر)، يهتدي المتلقي إلى سد ذلك الفراغ اعتمادًا على ما سبق ذكره فالبنية السطحية للنص غير مكتملة، لكن يستطيع المتلقي إن يسد فجوتها من خلال الربط بين أجزاء النص في العملية الذهنية (البنية العميقة)[١١]. ويُعد ((الحذف رابطاً قوياً في النص، لأنه يعتمد اعتمادًا خالصاً على ما تقدم فلا يستقل عنه البتة))[١٢]

والاتساق في الحذف يقوم على محوريين أساسيين وهما يمثلان وسيلتين من وسائل الاتساق النصي:[١٣]

الأول: المرجعية: تتحقق من خلال الدليل المذكور الذي يساهم في تقدير المحذوف، أي إحالة المحذوف على المعنى المذكور، وسواء كانت المرجعية سابقة أم لاحقة، فهي تساهم في استمرارية النص واتساقه فإن كانت خارجية فليس له مكان في ترابط النص.

ثانيًا: التكرار: يتحقق التكرار باللفظ والمعنى أو بالمعنى دون اللفظ عبر تقدير العنصر المحذوف، فعلى الرغم من عدم تكرار اللفظ، لكن استمرارية النص تبقى قائمة، إذ يعامل المحذوف معاملة المذكور.

ثالثًا: أنواع الحذف

يقع الحذف عند النصيين تحت ثلاثة أنواع[١٤]:

١- الحذف الاسمي: ويعني الحذف داخل المجموعة الاسمية.
٢- الحذف الفعلي: ويعني الحذف داخل المجموعة الفعلية.

٣- الحذف الجُملي: يعول النصيون كثيرًا على هذا النوع وفيه تكمن أهمية الحذف في الاتساق [١٥]. ونلحظ أن حذف الجمل ((يقع في الأساليب المركبة من أكثر من جملة وهي أساليب الشرط والقسم والعطف والاستفهام، وبعد " إذا" التي تضاف إلى جملة)) [١٦].

رابعًا: الدراســـة التطبيقية

١- الحذف الاسمي:

]عليه السلام[ومن أمثلة الحذف الاسمي ما روي عن حَمَّادِ بْنِ عَمْرٍو النَّصِيبِيِّ قَالَ: **((سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: وَاحِدٌ، صَمَدٌ، أَزَلِيٌّ، صَمَدِيٌّ، لَا ظِلَّ لَهُ يُمْسِكُهُ وَهُوَ يُمْسِكُ الْأَشْيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ، مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ فُرْدَانِيٌّ، لَا خَلْقُهُ فِيهِ وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ، غَيْرُ مَحْسُوسٍ وَلَا مَجْسُوسٍ وَ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، عَلَا فَقَرُبَ وَدَنَا فَبَعُدَ وَعُصِيَ فَغَفَرَ وَأُطِيعَ فَشَكَرَ لَا تَحْوِيهِ أَرْضُهُ وَلَا تُقِلُّهُ سَمَاوَاتُهُ وَإِنَّهُ حَامِلُ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ، دَيْمُومِيٌّ، أَزَلِيٌّ، لَا يَنْسَى، وَلَا يَلْهُو، وَلَا يَغْلَطُ، وَلَا يَلْعَبُ، وَلَا لِإِرَادَتِهِ فَصْلٌ وَفَصْلُهُ جَزَاءٌ، وَأَمْرُهُ وَاقِعٌ - لَمْ يَلِدْ فَيُورَثَ وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ – وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ))** [١٧]

والجدول الآتي يبين مواضع الحذف الواردة في النص، والعنصر المحذوف والدليل عليه:

موضع الحذف	المحذوف	الدليل
(...) واحد	لفظ الجلالة (الله)	بدليل سؤال السائل عن التوحيد (قرينة مقامية)
(...) صمد		
(...) أزليّ		
(...) صمدي		
(...) عارف بالمجهول	هو	الجملة السابقة "وهو يمسك الأشياء بأظلتها" (قرينة مقالية)
(...)معروف عند كلّ جاهل		
(...) فردانيّ		
(...) غير محسوس		
و(...)لا مجسوس		
(...) علا فقرب		
و(...) دنا فبعد		
و(...) عصي فغفر		
و(...) أطيع فشكر		
(...) ديموميّ	هو	الجملة السابقة "وإنه حامل الأشياء بقدرته" (قرينة مقالية)
(...) أزليّ		
(...) لا ينسى		
و(...) لا يلهو		
و(...) لا يغلط		
و(...) لا يلعب		

ومواضع الحذف في هذا النص تسعة عشر موضع، كانت القرينة في العناصر الأربعة الأولى مقالية حالية دل عليها سؤال المتكلم عن توحيد الله، ثم لفظية ذات مرجعية قبلية في باقي العناصر الأُخرى. وقصد بالإبهام تعظيم الحق تعالى، وبيان استحالة الإحاطة بصفاته أو أدراك كنهه. وكان لابد من الحذف في هذا النص للحفاظ على قدره وعلو بلاغته، فلو ظهر المحذوف لصار الكلام مسترذل وبطل ما فيه من الطلاوة والحسن [١٨]. فمن الواضح أن ((هذه التقنية تعصم الخطاب من التّرهُل البنائي، كما أنها تعمل على تسريع السرد، وتمنح المتلقي حضورا أكبر في تأويل النص أو تفسيره)) [١٩].

فالرابط في الحذف ليس شكلي كما في باقي وسائل الاتساق النحوية بل ضمني غير ظاهر في النص إذ لا حاجة لتكراره، فكأن المسند إلى المحذوف، أُسند أيضا إلى المذكور الذي يفسر ما غاب لفظه عن النص، وعليه

فالمحذوف ليس فراغًا في المعنى؛ بل يملأه المذكور ويسد مسده، فتماسكت البنية الشكلية باعتماد المحذوف على المذكور المتقدم [٢٠]. فتحققت بذلك صفة الاستمرارية على امتداد سطح النص.

ومن موارد حذف الاسم أيضا ما ورد عن أبي عبد الله -عليه السلام- **((إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِهِ خَلَقَ خَلْقاً فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِ فَنَحْنُ هُمْ يَا ابْنَ أَبِي يَعْفُورٍ نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَشُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى وَحْيِهِ وَخُزَّانُهُ عَلَى عِلْمِهِ وَوَجْهُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ وَعَيْنُهُ فِي بَرِيَّتِهِ وَلِسَانُهُ النَّاطِقُ وَقَلْبُهُ الْوَاعِي وَبَابُهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ وَنَحْنُ الْعَامِلُونَ بِأَمْرِهِ وَالدَّاعُونَ إِلَى سَبِيلِهِ بِنَا عُرِفَ اللَّهُ وَبِنَا عُبِدَ اللَّهُ نَحْنُ الْأَدِلَّاءُ عَلَى اللَّهِ وَلَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللَّهُ))** [٢١].

---------- العنصر الاسمي

المحذوف هو الضمير المنفصل (نحن)، دل عليه اللفظ السابق (نحن)، في علاقة قبلية، إذ حُذف المبتدأ في تسع جمل في هذا النص، ويقع الحذف في المبتدأ أكثر من وقوعه في الخبر لأنه الابتداء يكون بمعلوم والإخبار بمجهول الذي هو محط الفائدة [٢٢].

الدليل عليه **نحن** في جملة **نحن** حجة الله

- و(...) شهداؤه على خلقه
- و(...) أمناؤه على وحيه
- و(...) خزانه على علمه
- و(...) وجهه الذي يؤتى
- و(...) عينه على بريته
- و(...) لسانه الناطق
- و(...) قلبه الواعي
- و(...) بابه الذي يدل عليه
- و(...) الداعون إلى سبيله

فإحالة الجمل التسعة المشتملة على الحذف إلى عنصر إشاري واحد، أضافة إلى تحقق التكرار أدى إلى حدوث صفة الاستمرارية في سطح النص، و تزداد أهمية الحذف ((كعنصر اتساقي مهم في ترابط النص كلما كثرت الفراغات المتروكة في النص وذلك لأنها تمنح فرصة أكبر للمتلقي لملئها، حيث أن المتلقي وهو يملأ هذه الفراغات مستندا إلى ما قد تقدم في النص من عناصر موحية تساعده على ذلك يكون قد ساهم في ربط أجزاء النص بعضها ببعض)) [٢٣].

ويغني الحذف عن تكرار اللفظ نفسه، ففيه اختصار وإيجاز واكتفاء بالمحذوف، فهو بابٌ في الاقتصاد الكمي للألفاظ لكن ذلك لا ينفي كونه ضرب من ضروب الإثراء الدلالي [٢٤].

٢- <u>الحذف الفعلي</u>

ومن أمثلة حذف الفعل ما جاء في سؤال ذعلب لأمير المؤمنين -عليه السلام- عند قوله سلوني قبل أن تفقدوني، في حديث طويل قال: **((فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ صِفْهُ لَنَا؟ قَالَ: وَيْلَكَ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ إِنَّ رَبِّي لَا يُوصَفُ بِالْبُعْدِ وَلَا بِالْحَرَكَةِ وَلَا بِالسُّكُونِ وَلَا بِالْقِيَامِ قِيَامِ انْتِصَابٍ وَلَا بِجَيْئَةٍ وَلَا بِذَهَابٍ - لَطِيفُ اللَّطَافَةِ لَا يُوصَفُ بِاللُّطْفِ عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعِظَمِ كَبِيرُ الْكِبْرِيَاءِ**

لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ جَلِيلُ الْجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالْغِلَظِ)) [٢٥]. ---------- ----------

والحذف في هذا النص يتمثل بالمخطط الآتي:

...) بالحركة. (ولا
لا (...) بالسكون
ولا (...) بالقيام قيامِ انتصاب
ولا (...) بجيئة.
ولا (...) بذهاب.

المحذوف الفعل **(يُوصف)** بدليل القرينة اللفظية في الجملة السابقة "لا **يوصف** بالبعد"

ومن أمثلة ذلك أيضا ما روي عن الإمام الحسن بن علي -عليه السلام- قوله: **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَوَّلٌ مَعْلُومٌ وَلَا آخِرٌ مُتَنَاهٍ وَلَا قَبْلٌ مُدْرَكٌ وَلَا بَعْدٌ مَحْدُودٌ وَلَا أَمَدٌ بِحَتَّى وَلَا شَخْصٌ فَيَتَجَزَّأَ وَلَا اخْتِلَافُ صِفَةٍ فَيَتَنَاهَى فَلَا تُدْرِكُ الْعُقُولُ وَأَوْهَامُهَا وَلَا الْفِكَرُ وَخَطَرَاتُهَا وَ لا الْأَلْبَابُ وَأَذْهَانُهَا صِفَتَهُ فَتَقُولَ مَتَى وَلَا بُدِئَ مِمَّا وَلَا ظَاهِرٌ عَلَى مَا وَلَا بَاطِنٌ فِيمَا وَلَا تَارِكٌ فَهَلَّا))** [٢٦].

و(...) أوهامها
ولا(...) الفكر
و(...) خطراتها

المحذوف الفعل **(تدرك)** بدليل الجملة السابقة "فلا
ولا (...) الألباب **تدرك** العقول"
و(...) أذهانها

تمثل الحذف في النصيين السابقين بحذف الفعل في عدة مواضع المتمثلة بالفعل (يُوصف) بالنص الأول، والفعل (تدرك) في الآخر مع دلالة القرائن اللفظية السابقة عليه، أي تحقق المرجعية القبلية، مع وجود الفاعل الدال على المحذوف، والمفعول به (صفته) المشترك بين الجمل المعطوفة في النص الثاني، فاجتزأ النص وأكتفى بالظاهر لدلالته على المحذوف باعتبار أن الكلام يُشكل في بنيته الظاهرة والباطنة وحدة متكاملة يكمل بعضها البعض الآخر[٢٧]. فإذا ((كان التلازم الدلالي بين المبتدأ والخبر داعيا إلى تقدير المحذوف منهما ومرشدا إليه...كذلك الفعل، فإنه إذا حذف ارشد الفاعل المذكور إلى تضام الفعل معه، ولدلالة السياق عليه)) [٢٨].

إنّ استغلال منشئ النص كل العناصر الممكن حذفها، ربما يكون لتقريب المسافة بين المفردات الظاهرة على سطح النص، التي كان المحذوف فاصل بينها، لإظهارها قريبة للمتلقي -السائل في النصيين المذكورين آنفًا- لرغبته -عليه السلام- في الإسراع ببيان حقيقة صفات الله تعالى، واستحالة الإحاطة بها أو ادراكها[٢٩]. وأيضًا عدم ورود الألفاظ المنتظرة في النص تومض في ذهن المتلقي شحنة؛ توقظ ذهنه، وتعمل فكره، وبهذا يستمد الحذف أهميته[٣٠]. ويعمل الحذف مع عناصر الاتساق الشكلية الأخرى، التي تربط الجملة السابقة باللاحقة على تحقيق صفة الاستمرارية التي يقوم عليها معيار الاتساق.

٣- الحذف الجُملي

ومن أمثلة حذف الجملة ما ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ -عليه السلام- أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ وَلَا يُمَسُّ وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ وَكُلُّ شَيْءٍ حَسَّتْهُ الْحَوَاسُّ أَوْ لَمَسَتْهُ الْأَيْدِي فَهُوَ مَخْلُوقٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ إِذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَوَّنَ الْأَشْيَاءَ فَكَانَتْ كَمَا كَوَّنَهَا وَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ))** [٣١].

المحذوف في هذا النص هي الجملة الأسمية بركنيها المبتدأ والخبر مع الاسم الموصول **(الحمد لله الذي)** تاركة في النص سبعة فراغات يملأها المتلقي من خلال المرجعية السابقة للعنصر المحذوف الموجودة داخل النص بقرينة لفظية، إذ تترك ((هذه الوسيلة الاتساقية مساحة للقارئ ليمارس فعل القراءة، فيعمل على استحضار العناصر المحذوفة في ذهنه حتى يصل بها البنية السطحية للنص، التي تبدو للوهلة الأولى بنية متقطعة وغير مستمرة؛ أي أنه بحث عن العنصر اللغوي المفترض)) [٣٢] والمخطط الآتي يبين المحذوف ومواضعه في هذا النص:

و...لا يُجس

و...لا يُمس

و...لا يُدرك بالحواس الخمس

لا يُحس

و...لا يقع عليه الوهم

و...لا تصفه الألسن

المحذوف **(الحمد لله الذي)** بدليل الجملة الأولى "**الحمد لله الذي**

و...كوَّن الأشياء فكانت كما كوَّنها

وعلم ما كان وما هو كائن

بدليل الجملة السابقة "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي** كَانَ إِذْ لم يكن شيءٌ غيره"

وجاء الحذف للاختصار، إذ يقوم الدليل الدال عليه مقامه فلا يحتاج معها إلى الذكر أو التكرار لوضوحه عند المخاطب أي العلم بالمحذوف، فالحذف لا قوام له إلا بالمخاطب، الذي له ((دور مركزي في عملية الحذف، فهو الذي يوجهها ويتحكم فيها، فالحذف عملية لا يجريها المتكلم إلا وهو يقرأ فيها حسابا للمخاطب)) [٣٣].

وبتعين مكان المحذوف وتقديره بجملة (الحمد لله الذي)، يكتمل بناء النص، ويتحقق التماسك المنطقي للتراكيب والإبقاء على البنى النصيّة متواصلة ومترابطة وإلا يصبح النص مفككًا لا روابط بين عناصره. [٣٤].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ورد عن أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ -عليه السلام- فِي الْقَدَرِ **((أَلَا إِنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ وَسِتْرٌ مِنْ سِتْرِ اللَّهِ وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ اللَّهِ مَرْفُوعٌ فِي حِجَابِ اللَّهِ مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ مَخْتُومٌ بِخَاتَمِ اللَّهِ سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَضَعَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَنْ عِلْمِهِ وَرَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِمْ وَمَبْلَغِ عُقُولِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَهُ بِحَقِيقَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَلَا بِقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ وَلَا بِعَظَمَةِ النُّورَانِيَّةِ وَلَا بِعِزَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِأَنَّهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ خَالِصٌ لِلَّهِ تَعَالَى عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الْأَرْضِ عَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَسْوَدُ كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ كَثِيرُ الْحَيَّاتِ وَالْحِيتَانِ يَعْلُو مَرَّةً وَيَسْفُلُ أُخْرَى فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيئُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ إِلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْفَرْدُ فَمَنْ تَطَلَّعَ إِلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حُكْمِهِ وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَكَشَفَ عَنْ سِتْرِهِ وَسِرِّهِ وَ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))** [٣٥].

الجدول الآتي يبين الجمل المحذوفة في النص ومواضع حذفها والدليل عليها:

موضع الحذف	المحذوف	الدليل
و(...) ستر من ستر الله	ألا إنَّ القدر	الجملة الأُولى: "**إلا إنّ القدر** سر من سر الله"
و(...) حرز من حرز الله		
(...) مرفوع في حجاب الله		
...) مطوي عن خلق الله(		
(...) مختوم بخاتم الله		
(...) سابق في علم الله		
...) بقدرة الصمدانية (ولا	ينالونه	" لا **ينالونه** بحقيقة الربانية"
ولا (...) بعظمة النورانية		
ولا (...) بعزة الوحدانيّة		
و(...) نازعه سلطانه	فمن تطلع إليها	"**فمن تطلع إليها** فقد ضاد الله عزَّ وجلَّ في حكمه"
و(...) كَشَفَ عَنْ سِتْرِهِ وَسِرِّهِ		
و(...) باء بغضبٍ من الله		
و(...) مأواه جهنم وبئس المصير		

نلاحظ في هذا النص تعدد الجمل أو العبارات المحذوفة، مُشكِّلة سلاسل متتالية للحذف. ففي الجمل الستة الأولى: عبارة (ألا إنَّ القدر) المتكونة من حرف التنبيه مع الحرف المشبه بالفعل واسمه. ثم الجملة الفعلية (ينالونه) في ثلاث جمل. وكلا الحذفين كانا بأسلوب العطف، ثم بأسلوب الشرط في الجمل الأربعة الأخيرة، فحُذف فعل الشرط والأداة (فمَن تطلع إليها). وهي من الأساليب المركبة من أكثر من جملة التي يَكثُر الحذف فيها عادة. وجميع الجمل المحذوفة في هذا النص ذات مرجعية نصية قبلية، إذ تعود العناصر المحذوفة على قرينة مقالية موجودة في داخل النص سابقة للمحذوف.

فتعمل هذه السلاسل من الحذف ((على الربط بين الجمل ويحقق ذلك الحذف الاقتصاد اللغوي من خلال تكرار حذف الكلمات... فيتحقق الربط بين الجمل عن طريق إحالة المحذوف على المذكور السابق في النص، واستمرار المعنى عبر التكرار، مما ينشأ عنه استمرار التواصل عبر دلالات الغياب)) [٣٦].

وهذا الإيغال في الحذف في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدة يتطلب من المتلقي جهدًا أكبر لربط الأجزاء التقديرية للنص المعوضة عن المحذوف مع إجزاء النص الأُخرى [٣٧].

ومن موارد حذف الجملة أيضا ما روي عَنْ **((أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ [عليه السلام] أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ أَ هِيَ مُكْتَسَبَةٌ؟ فَقَالَ: لَا، فَقِيلَ لَهُ: فَمِنْ صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ عَطَائِهِ هِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ، وَلَهُمْ اكْتِسَابُ الْأَعْمَالِ.))** [٣٨].

نلاحظ في هذا النص حذف الجمل الواقعة بعد أحرف الجواب (لا، نعم) في جواب الاستفهامين الواردين في النص عند سؤاله –عليه السلام- عن المعرفة والاكتفاء بحرف الجواب لدلالة السؤال عليه إذ أن ((في طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال)) [٣٩] فاعتماد الجملة المحذوفة على جملة السؤال المذكورة في النص اعتمادًا خالصًا وعدم استقلالها عنها جعل من الحذف رابطًا نصيًا قويًا، ليكون نصًا متماسكًا ومتسقًا نحويًا.

والحذف وسيلة يتم فيها الحفاظ على اتساق الوحدات المحكمة داخل نسيج النص وأبنيته، وذلك في القطاعات الطويلة المدى فتكون العملية الأساسية الكشف عن كيفية استعمال عناصر الجملة أو النص بإعادتها أو ضغطها[٤٠]

ومن الممكن تأثير ((الحذف في الربط بين أجزاء النص في العملية الذهنية الدينامية التي يقوم بها المتلقي لردم فجوة الحذف أي أنه استبدال ذهني، وهنا تتضح أيضاً مدى أهمية الجوانب الأخرى المحيطة بالنص في القيام بإكمال فجوات الربط النصي لتتسق عندئذ عملية التماسك الكلي للنص.)) [٤١].

الخاتمة

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث بما يأتي:

١- رصد البحث أثر الحذف في اتساق النصوص من منظور اللسانيات النصية، من خلال الدراسة التطبيقية لبعض روايات كتاب التوحيد التي شكّل الحذف فيها ظاهرة واسعة الانتشار في تراكيب النصوص.

٢- الرابط في الحذف ليس شكلي كما في باقي وسائل الاتساق النحوية بل ضمني غير ظاهر في النص إذ لا حاجة لتكراره، فكأن المسند إلى المحذوف، أسند أيضا إلى المذكور الذي يفسر ما غاب لفظه عن النص، وعليه فالمحذوف ليس فراغًا في المعنى؛ بل يملأه المذكور ويسد مسده، فتماسكت البنية الشكلية باعتماد المحذوف على المذكور المتقدم.

٣- - يُلاحظ في النصوص المتناولة في هذا البحث، استغلال منشئ النص كل العناصر الممكن حذفها، ربما يكون ذلك لتقريب المسافة بين المفردات الظاهرة على سطح النص، التي كان المحذوف فاصل بينها، لإظهارها قريبة للمتلقي، وبيان المعاني المراد إيصالها بسرعة أكبر، إضافة إلى إيقاظ ذهن المتلقي واعمال فكره، بعدم ورود الألفاظ المنتظرة في النص.

الهوامش

(١) يُنظر: علم لغة النص، عزة شبل:١٠١، ٩٩

(٢) يُنظر: ظاهرة الحذف، طاهر سليمان:٩

(٣) يُنظر: الخصائص، ابن جنّي:٣٦٢/٢، ومغني اللبيب، ابن هشام:٢٦٠/٢-٣٠٦

(٤) يُنظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ١٤٦-١٧١، الطراز، العلوي:٥١/٢

(٥) لسان العرب، ابن منظور: ٤٠،٣٩

(٦) الحذف والتقدير، علي أبو المكارم:٢٠٠

(٧) النص والخطاب والإجراء، بوجراند:٣٠١

(٨) يُنظر: اللغة العربية مبناها ومعناها: تمام حسان:٢٩٨

(٩) الخصائص، ابن جنّي:٣٦٢/٢، ويُنظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١١٤/٣

(١٠) علم لغة النص، عزة شبل: ١١٦

(١١) يُنظر: لسانيّات النص، محمد الخطابي: ٢٢،٢١

(١٢) الروابط النصية: محمود عكاشة: ٢٠٣

(١٣) يُنظر: علم اللغة النصي، الفقي: ٢٢١،٢٠٨/٢

(١٤) يُنظر: علم لغة النص، عزة شبل:١١٨، لسانيات النص، ليندة قياس:١٢٠

(١٥) يُنظر: لسانيّات النص، محمد الخطابي: ٢٢

(١٦) ظاهرة الحذف، طاهر سليمان:٢٨٤

(١٧) التوحيد:٥٨،٥٧

(١٨) يُنظر: الطراز، العلوي:٥١/٢

(١٩) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط:١٩٥

(٢٠) يُنظر: الروابط النصية: محمود عكاشة: ٢٠٤

(٢١) التوحيد:١٥٢

(٢٢) يُنظر: الروابط النصية، محمود عكاشة:٢٠٥

(٢٣) الاتساق النصي في المعلقات (أطروحة)، صالح حوحو:١٠٠

(٢٤) الملمح التداولي (مجلة)، نعمة دهش:٤٧٢

(٢٥) التوحيد: ٣٠٦،٣٠٥

(٢٦) التوحيد: ٤٦،٤٥

(٢٧) يُنظر: دراسة الطبري للمعنى، محمد المالكي:٣٣٦

(٢٨) المعايير النصية في القرآن الكريم، أحمد محمد عبد الراضي:٦٥

(٢٩) يُنظر: نظرية علم النص، حسام أحمد فرج: ٩٠

(٣٠) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة:١٠٦

(٣١) التوحيد:٧٥

(٣٢) لسانيات النص: ليندة قياس:٢٩

(٣٣) أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوي:١١٧٥/٢

(٣٤) يُنظر: الاتساق في الصحيفة الكاظمية(رسالة)، سناء مسلم:١٨٩

(٣٥) التوحيد: ٣٨٤،٣٨٣

(٣٦) علم لغة النص، عزة شبل:١٧٣،١٧٢

(٣٧) يُنظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند:٣٤٥

(٣٨) التوحيد: ٤١٦

(٣٩) خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى: ١٣٥

(٤٠) يُنظر: مدخل إلى علم لغة النص : الهام أبو غزالة وآخرون:٨١

(٤١) إشكالات النص، جمعان بن عبد الكريم:٣٥٧

المصادر والمراجع

أولا: الكتب

١- إشكالات النص دراسة لسانية نصية، د. جمعان بن عبد الكريم، النادي الأدبي بالرياض، الدار البيضاء- بيروت ٢٠٠٩م، ط١.

٢- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس" نحو النص"، محمد الشّاوش كلية الآداب منّوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠١٤م، ج٢.

٣- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ط١.

٤- تحليل النص " دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي"، د. محمود عكاشة، مكتبة الرشيد، ١٤٣٥ه، ٢٠١٤م، ط١.

٥- التوحيد، الشيخ الصدوق أبى جعفر محمد بن علي القمي (ت ٣٨١ه)، تح: السيد هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط١.

٦- الحذف والتقدير في النحو العربي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤. ج٢.

٨- خصائص التَّراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، ١٤١٦ه-١٩٩٦م، ط٤.

٩- دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الأستاذ محمد المالكي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،١٤١٧ه، ١٩٩٦م.

١٠- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ط٣.

١١- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤٢٣ هـ، ط١، ج٣.

١٢- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حموده، الدار الجامعة – رمل إسكندرية، ١٩٩٨.

١٣- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، تقديم: د. سليمان العطّار، مكتبة الآداب- القاهرة، ٢٠٠٧م، ط١.

١٤- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء- القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٥- لسانيّات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٦م، ط٢.

١٦- لسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني أنموذجًا، الاستاذ ليندة قياس، تقديم أ.د عبد الوهاب، مكتبة الآداب- القاهرة ٢٠٠٩- ط١.

١٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ – ط٣، ج٩.

١٨- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان عمر، عالم الكتب ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ط٥.

١٩- مدخل إلى علم لغة النص، روبرت ديبوغراند، ولفغانغ دريسلر، الهام أبو غزالة، علي خليل حمد، مطبعة دار الكاتب، ١٤١٣ه – ١٩٩٢م، ط١.

٢٠- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ٢٠٠٩م- ط١.

٢١- المعايير النصية في القرآن الكريم، دـ أحمد محمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١١- ط١.

٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تح: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ١٩٨٥م- ط٦.

٢٣- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة، د. تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، ١٩٩٨م – ط١.

٢٤- النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، تقديم: د. صلاح رزق، مكتبة الآداب- القاهرة، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م، ط١.

٢٥- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج، تقديم: سليمان العطار، ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م – ط١.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية

٢٦- الاتساق في الصحيفة الكاظمية، سناء مسلم عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة المستنصرية – كلية الآداب، ١٤٣٦ه، ٢٠١٥م.

٢٧- الاتساق النصي في المعلقات، صالح حوحو، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر- بسكرة، كلية الآداب، ٢٠١٥-٢٠١٦م.

ثالثًا: البحوث

٢٨- الملمح التداولي في النحو العربي تحليل واستنتاج، م.د نعمة دهش فرحان الطائي، مجلة العميد، العدد الثامن، ١٤٣٥-٢٠١٣م.